

التوجهات الفكرية الحاكمة عند المرجعية الدينية

وأثرها في تكوين الحشد الشعبي دراسة في فلسفة البناء الفكري

م.م حسن خلف هاشم العلاق

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية / الجامعة المستنصرية

المقدمة:

يكاد العمل الفكري في العراق يتربط بشكل كلي وفاعل مع تاريخ نشوء هذه الدولة حتى يبدو إنه يشكل المحور الفاعل في بنيتها الفكرية وبالأخص بين أطراف المسافة الزمنية الممتدة بين لحظة التأسيس ولحظات التحولات الفكرية والسياسية المتتابعة. فما بين تلك اللحظات يمتد زمن من الصيرورة اللامتناهية من العقل الفكري والسياسي والتوجهات المتعددة الأنماط والحالات والأزمات المزمدة التي يُصنف إهمالها ضمن مقولات الحساسية في التعاطي مع تاريخ العمل الفكري وحاضره.

من جانب آخر، فإن الواقع السياسي الذي شهده العراق بعد عام ٢٠٠٣ لم يكن ليحظى بظروف التعايش الملائمة للسلم والاستقرار. بل إن البناء التعددي المطروح للتداول أخذ يشهد نوعاً من النكوص والارتكاز على هويات فرعية بدلاً من الانفتاح على تمثيل أوسع ما بين المكونات فقد أظهرت الأدبيات الثقافية المعاصرة من الناحية الديمغرافية أن العراق مجاًلاً خصباً لاختيار مشاريع التقسيم على أساس تقرير مصير تلك الهويات الفرعية. وأن ذلك لم يكن ليتم لولا الاستناد على جذور ثقافية وفكرية تستهدف الأقصاء. الأمر الذي جعله أثراً ونتيجة حاكمة في صياغة المشهد السياسي العراقي بعد عام ٢٠٠٣. وهو ما أدى الى صعود طبقات سياسية واجتماعية ذات هويات استيعادية والتي غالباً ما شكلت أداة للكراهية بدلاً من التعايش السلمي.

ونتيجة لذلك، فكان الذي حصل بعد عام ٢٠٠٣ لم يكن تحولاً بنوياً في مفهوم الحكم والادارة وبناء الهوية الوطنية، ولم يكن الحدث العالمي الذي غير خارطة الواقع العراقي في ذلك العام قد أخذ يرسم خريطة فكرية وسياسية تجب الخريطة التي قبلها، لذلك امتد الصراع بين الاتجاهات الفكرية والسياسية وكأنه صراع على النماذج المطروحة، وصراع بين الخرائط القديمة والجديدة فتعسر عند ذلك إيجاد مثل ذلك التوافق في

الاتجاهات الرئيسية. فثمة مهزوم ومنتصر قد تواجهها في المعادلة الفكرية والسياسية العراقية، وثمة تمكين وإزاحة أخذت تجري وعلى قاعدة من شعارات الديمقراطية في ضمن نظامٍ توافقي يصنع مشهده الجميع.

لذلك تصاعدت حدة الثقافات المتقاطعة، وتعاظم الميول نحو المرجعيات السياسية والثقافية والاجتماعية في ظل امتلاك العديد من تلك المرجعيات جانباً تنظيمياً مسلحاً.

ومن هنا. فلدى تأملات المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف حول التطورات التي أخذت تحصل. وتنقيح أسس العلاقة والارتباط ما بين الواقع السياسي وواقع المجتمع التعددي القائم وجدت المرجعية نفسها أمام شبكة من المفاهيم عديمة التناسق نسبياً. فكان الأمر يتطلب إيجاد نظام فكري عقلاني يتأسس على سيادة القانون والتكامل الاجتماعي ويعيد صياغة التعددية على أساس المواطنة بما يحقق هوية وطنية متلاقحة تفسح المجال أمام قيام نظام يستهدف إدخال الحرية في العلاقات السياسية والاجتماعية. وهو ما تحركت به المرجعية لمواجهة إحدى أهم جزئيات هذا الواقع الذي نبع بعد عام ٢٠٠٣. وهو مواجهة التنظيمات الارهابية التي دخلت العراق واحتلت الموصل عام ٢٠١٤ واتجهت الى بقية المناطق عن طريق إصدار الفتوى المباركة التي أدت الى تأسيس الحشد الشعبي الوطني المنتظم احتراماً للمرجعية التي بدأت تعمل على رفع مستواه الفكري والعقلي عن طريق الثابت في المنظومة الإسلامية وعقيدتها الرفيعة. وتحريك الجهاز المفاهيمي المتمثل في عملية البناء الفكري في قبال الفلسفة الفكرية المتطرفة عند التنظيمات الإرهابية وهيكلها الفكري المتطرف.

من جانب آخر، فإن ذلك التحرك الفكري الذي تبنته المرجعية الدينية لحماية الدولة والمجتمع من الداخل كان عبارة عن منظومات عديدة من التساؤلات والاسباب التي أخذت تدفع بالسؤال حول استراتيجية المواجهة التي اعتمدتها المرجعية في سياستها التعاملية الى مداها الأبعد. منظومة ما يُسمى (الممكنات المضیعة)، ومنظومة ما يُسمى (الأسباب المستمدة من الرؤية الفكرية للإسلام) في فكرها ومشروعها ومفاهيمها

في المواجهة والعمل والتأسيس وتجربتها التي بدت إنها قد اخترنت في مجملها حالات مختلفة من الفكر والادارة وغيرها.

وأمام ذلك الواقع، أخذت المرجعية تصوغ المقومات الرئيسية لعملية البناء الفكري والعمل على مواجهة التنظيمات الإرهابية التي سعت الى نخر البنية الفكرية للمجتمع العراقي عن طريق الفتاوى التكفيرية والسلاح. لاسيما وإن الأطروحة الفكرية التي تمحورت في البعد الوطني الذي يشمل العدالة والأمن والسلام المجتمعي والذي يؤسس الى العنصر البنائي في البنية السلوكية المجتمعية كانت جاهزة عند المرجعية والعامل العقائدي والأيدلوجي كان قد شكل مع تلك الأطروحة أساساً ثقافياً لتلك الفلسفة والتي قامت انطلاقاً من نواة ايدلوجية ذات محورين الأول الاعتقاد بأن الموروث الحضاري الإسلامي هو الذي يستوعب كل المتغيرات، والثاني اليقين بأن أداء هذا الموروث يستلزم كل الوسائل الكفيلة بالنصر.

ومما لاشك فيه، فإن الطرح الفكري الذي تبنته المرجعية كانت تشير الى حدوث تحول جذري على المستوى المفاهيمي والإدراكي والمعرفي أمام قوة و ارادة التنظيمات الارهابية وقواها الدولية والاقليمية والسياسية والمجتمعية ووجودها. ووجود تركيزاً على القوالب الفكرية التي تنطلق عن طريقها في توصيف العلاقة بين المجتمع ووجوده وكيانه وتحريك الفكر الناقد الذي يسعى الى انتشال الأمة من التخلف الذي أخذ يرافقها عن طريق الطروحات الفكرية المتطرفة.

فبال تجربة والتحليل تستطيع المرجعية من أن تضع يدها على عناصر مفهومية وأسئلة متسلسلة تُشكل لها شبكة ملائمة لاصطياد المفاهيم المهمة المتفرقة وترتيبها، وبالتالي عملية فهم الأسس والآراء المختلفة التي هي محور الاهتمام، كما يمكن لتلك الشبكة من أن تشكل أبجديات التوصيف ونقل مفاهيمها الى المجتمع.

ومع ذلك، فإن البيانات التي أخذت تقدمها المرجعية بما تحتوي من ثقافة عالية وخطاب فكري يمكن أن تقدم إمامات مهمة تحاكي العبقورية الهادفة نحو رسم توجه عقائدي وطني واضح، وأن نصوص تلك البيانات بالكامل تتمحور حول أيديولوجية مستنبطة

من اصول الفلسفة الاسلامية، وهي تحاول أن تلامس بحسب المرجعية العقل المجتمعي العراقي كوعاء تحاول المرجعية ملئه بثقافة الشعور بأن تلك الايدولوجية تشكل تحقيقاً للمصالح العليا، والعمل على إيجاد عمقاً تعبويّاً داخلياً تتخندق فيه وتغذيه بالفكر السلمي المتطلع الذي يتصدى الى (الطائفية والارهاب) التي جاءت بها التنظيمات الارهابية، والذي قد ينقلب بحسب رؤية المرجعية ويسحب من تلك التنظيمات الارهابية مواقعها العليا كامتياز رافقها قبل عدة سنوات.

وعلى وفق ما تقدم، تحركت المرجعية لطرح حلول المواجهة مع اعداء الإسلام والأوطان والمقدسات وأسست الحشد الشعبي انطلاقاً من هويتها الأصلية، وموروثها الضخم، وقواها المجتمعية، وموارد الفرص، ومرونة الحركة، ونظريتها في التغيير، والتي أخذت تتحد في إطار مدركات اساسية لمعطيات الواقع القائم، وطبيعة العلاقات القائمة، ومحددات القدرة والتأثير ومن ثم الاستجابة الى واقع ومصادر التأثير الذي من الممكن أن يلبي متطلبات الواقع في قبال الحركة الارهابية المتطرفة التي شهدتها العراق عام ٢٠١٤ والتي أخذت تكسب شرعيتها من ذاتها ومن المحيط الذي تعمل بداخله.

وعلى وفق ما تقدم تسعى هذه الدراسة الى كشف وتحليل الأبعاد المختلفة التي اضطلعت بها المرجعية الدينية لاسيما بعدما شهد العراق تحولات خطيرة بعد ٢٠٠٣ بحيث وجدت المرجعية نفسها وقد زج بها الى مواجهة حتمية مع قوى الارهاب والبيئة الداخلية والخارجية لذلك يمكن الادعاء أن العراق أخذ يقف على مفترق طرق. فأما نجاح تلك القوى في اقضاء الهوية الوطنية العراقية والسلم المجتمعي وتدمير العراق. أو التقهقر أمام فاعلية المرجعية الحاضنة الاساسية للوحدة الوطنية واقامة السلم والأمان لاسيما إذا ما لجأت الى سلاحها التقليدي (الفتاوى الشرعية) مثلما اعتادت في الماضي. بالاتجاه ذاته فإن التساؤل المركزي الذي تتمحور حوله هذه الدراسة هو بانعكاسات ذلك التحرك على الواقع السياسي والاجتماعي العراقي، وهل القول بأن المرجعية الدينية قد تبنت مشروعاً كبيراً لواقع عراقي أكبر وتفتيت القضايا المصيرية الصعبة كالطائفية والارهاب الى خارج فضاء اللون العراقي لحماية العراق وهويته من الداخل

في الوقت الذي اعتمدت فيه قوى الإرهاب وحواضنه الداخلية الى استراتيجية تقوم على تغيير الداخل من خلال الخارج أمراً ممكناً.

تم تقسيم الدراسة الى مقدمة ومبحثان وخاتمة. جاءت المقدمة لتعطي صورة واضحة عن الواقع الفكري للمرجعية الدينية ووجودها وكيانها مع اشارة للواقع السياسي العراقي والارهاصات التي صاحبتة بعد ٢٠٠٣. تناول المبحث الاول لمحة مركزة عن الواقع السياسي والاجتماعي العراقي وظروف تأسيس الحشد الشعبي. فيما سلط المبحث الثاني الضوء على فلسفة البناء الفكري عند المرجعية الدينية الأسس والمنطلقات. أما الخاتمة فقد تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلت اليها هذه الدراسة.

ارتكزت الدراسة على منهج البحث التاريخي الذي يعتمد على استقراء الاحداث وتحليلها داخل حركة الدولة والمجتمع، وذلك لأنه المنهج الذي يستجيب لمتطلبات البحث التاريخي أكثر من غيره.

المبحث الاول : لمحة مركزة عن الواقع السياسي والاجتماعي العراقي وظروف تأسيس الحشد الشعبي:

أصبحت الدولة العراقية التي تعرضت الى الاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣ بخلل بنيوي في تركيبها السياسية والاجتماعية وذلك بسبب عدم نضوج الثوابت العمودية والافقية التي أخذت تنخر الأسس الثابتة لهذه الدولة^(١).

فمن جهة ، كانت قد ورثت إسقاطات الأحداث الماضية التي خلفها نظام الحكم السياسي الحاكم قبل عام ٢٠٠٣ . فضلاً عن تبني الاحتلال الأمريكي تفكيك المنظومة السياسية والاجتماعية للدولة العراقية بدءاً من إسقاط النظام الحاكم وصولاً الى حل مؤسسات الدولة ، وابدالها بمجاميع من القوانين والقرارات واللوائح الخاصة بالبناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمل على التحكم بكل مفاصل الدولة عن طريق مستشارين امريكان للعمل بصفة (حكومة الظل)^(٢).

ومن جهة أخرى، كانت قد استوعبت تلقائياً أحداث الوجود الامريكي الذي أخذ يفكك المنظومة المجتمعية عن طريق التعامل مع العراقيين باعتبارهم أجزاءً متنوعة

وليسوا جزءاً واحداً^(٣). وعلى ذلك الأساس قسمت العراق سياسياً واجتماعياً الى ثلاث أساسية هو " الشيعة " و " السنة " ، و " الاكراد " ، و اقلية دينية ومذهبية أخرى^(٤). بالمقياس عينه، كانوا قد استمروا بالتعامل مع تلك التقسيمات حسب مصالحهم وضمن التقسيم الديني والمذهبي والقومي وصولاً الى تقسيم المقسم وتجزئة الجزء، وبالتالي العمل على تمزيق الهوية الوطنية الجامعة ثم اخذت تعلن تصريحاً أو تلميحاً بتقوية الهويات الفرعية وبدأت عند ذلك تظهر مشاريع التقسيم الواحدة تلو الأخرى . الامر الذي يعني ادخال العراق في حالة من الفوضى والإرباك^(٥).

وأمام ذلك الواقع، كان موقف المرجعية الدينية قد تبلور في الرفض التام للاحتلال، ودعت المجتمع العراقي الى التكتف، وشخصت القوات الامريكية على أنها قوات احتلال كما أقر بذلك مجلس الأمن الدولي^(٦). وأكدت صراحة بأنها لا تؤيد بقاء قوات الاحتلال. الأمر الذي أخذ يكشف عن هاجس القلق الشديد تجاه الوجود الامريكي وأهدافه في العراق^(٧).

وأكدت كذلك على " أن تغيير النظام كان يفترض أن لا يكون عن طريق الاحتلال العسكري الذي أدى الى انهيار ركائز الدولة وانعدام الأمن " . الامر الذي يثلم شرعية الوجود الامريكي ووجوده في العراق^(٨).

من جانب آخر ، بدأت الخطوات الأمريكية تأخذ طريقها في التربة العراقية. لتقوم الهويات الفرعية مقام الهوية الوطنية. فبدأت الاغتيالات والتفجيرات التي كانت تغذي بالفتاوى التكفيرية من الداخل والخارج. خصوصاً بالتركيز على الاقلية الدينية كورقة ضغط لتأليب الرأي العام العالمي بأن العراق لا يمكن السيطرة عليه إلا بوجود القوات الأمريكية^(٩).

وعلى ذلك الأساس، أخذت تتبلور في العراق توترات جيوسياسية تميزها ثلاثة طبقات من التعقيد الأولى تمثلت في نزوح الأزمة السياسية والاجتماعية العراقية الداخلية وبمختلف جوانبها، والثانية في جوهر البعد الاقليمي البالغ التعقيد وتفاعله مع الأوجه الداخلية في العراق، والثالثة هي التفاعلات الدولية الملازمة للعراق. كما إن تلك

التوترات أخذت تقع في صميم التهديدات التي تواجهها الاقليات وباقي النسيج الاجتماعي العراقي^(١٠).

ونتيجة لذلك، استغلت التنظيمات الإرهابية المسلحة الفرصة للقيام بعمليات استهدفت قوات التحالف تحت واجهة المقاومة والجهاد بحسب ادعائها، ولكن الحقيقة هو ان، أكثر تلك العمليات كانت قد وجهت الى رجال الدولة ومؤسساتها والأهداف الحكومية العسكرية والمدنية^(١١).

ومما لاشك فيه، فأن الهجوم الارهابي الذي استهدف سامراء وتفجير مرقد الامامين العسكريين (عليهما السلام) في شباط ٢٠٠٦ من قبل تنظيم القاعدة هو خير شاهد على ذلك. وقد كان الهدف منه هو إثارة الفتنة الطائفية، إلا إن توجيهات المرجعية الدينية قد أفسد ما خطط له على الرغم من إن تداعياتها كانت حاضرة في بعض الأوقات^(١٢).

من جهة أخرى، كانت عمليات ما يسمى بـ "حركات الجهاد الاسلامي" المتطرفة التي ظهر منها تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام "داعش" في عام ٢٠١١ قد تصاعدت ، بعدما تمددت جغرافياً من مناطق شرق سوريا وشمال غرب العراق. وتزايدت خطورتها في ظل شبكة من العلاقات الكبيرة المعقدة مع المنظمات الإرهابية المنتشرة في كل من الشرق الى أفريقيا. ولذلك أخذت التنظيمات الارهابية (داعش) تنافس تنظيم القاعدة في الهيمنة على الجماعات المتطرفة^(١٣).

وعلى صعيد اخر، تواصل تنظيم (داعش) في عملياته التعرضية على مناطق غرب العراق وتحديدأ محافظة الأنبار، وقد حصلت عام ٢٠١٣ العديد من الاشتباكات بين (داعش) الذي استفاد من بعض حواضنه ومع القوات العراقية، واستطاع من السيطرة على مناطق عديدة بتلك الفترة^(١٤).

ومن الجدير بالذكر، هو أن الفرص التي حصل عليها تنظيم (داعش) والسيطرة على تلك المناطق دفعته الى وضع خطط استراتيجية تهدف الى المزيد من التمدد والسيطرة على مدنٍ أخرى بما فيها بغداد^(١٥).

وفي ٩ نيسان ٢٠١٤ تمكنت تنظيمات (داعش) من احتلال الموصل وفرض سيطرتها هناك، وأخذت تتبنى ما اسمته (الخلافة الاسلامية)، فأنشأت الولايات والمحاكم وعينت الامراء والوزراء وجمع الضرائب وأخذ الجزية وتأسيس مكاتب للزواج ولل سفر وغيرها^(١٦).

من جهة أخرى، أخذ ذلك التنظيم يتبع منهجاً قائماً على تدمير التراث والتاريخ، فدمر المواقع الأثرية في الموصل وما جاورها، وأخذ يقتل الاقليات الدينية واجبارها على الدخول في دولتها الاسلامية أو دفع الجزية أو الخروج من ديار المسلمين على حد تقديرهم^(١٧).

وأقدام تلك التنظيمات على عمليات السبي والاستعباد الجماعي وبيع العشرات من الأيزيديات في أسواق النخاسة. مما أدى الى هروب المئات والآلاف من تلك الأسر الى خارج تلك المناطق، بل حتى خارج البلاد^(١٨).

وفي الحقيقة، فإن ذلك الواقع لم يكن أزمة تخص الأقليات فحسب بل كانت أزمة شاملة لكل من يعينه اسم المواطنة العراقية، لاسيما وأن المجتمع خصوصاً الأقليات الدينية وجدت نفسها محاصرة بين عنف دموي وعنق ثقافي قائم على التمييز الاجتماعي، الأمر الذي فكك إحساسهم بوطن يعدون أنفسهم من سكانه الاصليين^(١٩).

بالمقابل، فإن ذلك التنوع كان يشكل ووفق تلك الظروف تحدياً للواقع الموجود في الحفاظ على وجوده وحمايته. وبالطبع فإن أساليب القسوة التي عانى منها النسيج الاجتماعي كان قد أدى بالنتيجة الى التعاطف المرجعي معه، لذلك تصدت المرجعية الدينية انطلاقاً من مسؤولياتها الشرعية والوطنية وأصدرت فتواها الخاصة "بحرمة الدم العراقي بكل أديانه وطوائفه ومذاهبه" ومن هنا مارست المرجعية الدينية عملية العلاج المبكر لتلك التداعيات للحفاظ على النسيج الاجتماعي من محاولات التفتيت . بتعبير أدق، أن المرجعية كانت قد ركزت على جوهر الوجود الحقيقي للواقع الاجتماعي العراقي^(٢٠).

وفي الواقع، بعد إن تمكنت التنظيمات الإرهابية من السيطرة على الموصل وما تلاه من تمدد باتجاه بقية المحافظات وصولاً الى مشارف العاصمة بغداد، وتسببه بموجه من نزوح

العوائل المختلفة الطوائف والأديان التي سكنت العراق وتعايشت بحب وسلام ، وارتكاب المجازر في سبايكر وبادوش، وإعلانها إن قواته لن تتوقف عند بغداد فقط، بل أنها تريد الوصول الى المدن المقدسة كربلاء والنجف الأشرف^(٢١).

وأمام ذلك الواقع، أدركت المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف، أن تلك التنظيمات لا يمكن وقفها. وأن الحكومة العراقية والقوات الأمنية عاجزة عن إيجاد الحلول اللازمة للتصدي الى تلك التنظيمات لذلك كانت لها رؤيتها العميقة وقراءتها الدقيقة لطبيعة الواقع القائم، فأصدرت فتواها المباركة في ٢٠١٤ التي ادت الى تأسيس "الحشد الشعبي" الذي قاد المواجهة جنبا الى جنب القوات العسكرية من الجيش العراقي الباسل والشرطة العراقية والفصائل العسكرية التي حركتها تلك الفتوى^(٢٢).

المبحث الثاني : فلسفة البناء الفكري عند المرجعية الدينية الأسس والمنطلقات: أدى انهيار البنية السياسية للدولة العراقية عام ٢٠٠٣ وتداعي مؤسساتها تفتاً وفساداً الى تنامي سؤالاً حتمياً أخذ يتداوله المتخصصون في العلم الاجتماعية وعامة الناس: "وماذا عن مصير المجتمع الذي شهد انهيار دولته العراقية؟ وماذا عن الشخصية الاجتماعية لفرد وجد نفسه بلا مؤسسات تمنحه الأمن والهوية الجمعية والثقة بجدوى الاجتماع البشري"^(٢٣).

بالمقياس عينه ، فإنه باقتلاع الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١-٢٠٠٣ من جذورها السياسية والاقتصادية والقانونية على أثر الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ يكون التفاعل المتزامن والمتبادل بين حركة مجتمع بأكمله وبين مسارات الدولة التي يفترض أن تنبثق منه قد توقفت الى أجل غير محدود. بتعبير أكثر دقة ووضوحاً إن الشخصية العراقية كانت قد وجدت نفسها أسيرة في ثقب تاريخي مظلم فاندفعت قسراً مستنزفة طاقة الماضي النفسية لديها لتتحرك في مدارات شقت لها سلفاً بمحاول المخططين لأمركة الزمان والمكان. فالتعصب والتفكير النمطي والطائفية التي أخذت تتحرك داخل العراق ماهي إلا طاقة ماضي جاهل وأساطيري جرى استحضاره في مختبرات العولة المتوحشة^(٢٤)، وهو ما سهل بدوره الى ظهور تنظيمات إرهابية مسلحة بفقه تكفيري وايدولوجية متطرفة

مثلتها في إحدى جزئياتها تنظيمات الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) والتي شكلت محوراً فاعلاً في استقطاب العديد من القوى السياسية والمجتمعية التي تمحورت وأطرت نفسها في ذلك الاتجاه^(٢٥).

وعلى الرغم من، أن تلك التنظيمات تغلب عليها الصفقة العسكرية التي تمكنت خلالها من السيطرة على اجزاء مهمة من العراق عام ٢٠١٤، إلا أن محور تلك الحركة ومبادئها ومرتكزاتها وأساسياتها هو الجانب الفكري. الذي تبنى سياسة الفكر المتطرف مستندة الى بعض المناخات السياسية والاجتماعية الاقليمية والدولية، والظروف الحداثوية بحسب رأيهم، والتي مثلت تربة خصبة أخذت تشق طريقها في الواقع العراقي^(٢٦).

بالمقابل، فإن حركة المرجعية الدينية في النجف الأشرف التي تصدت الى تلك التنظيمات عن طريق " الفتوى المباركة" التي أسست " الحشد الشعبي" كانت قد استهدفت فضلاً عن المواجهة العسكرية التي زحزحت تلك التنظيمات بناء الثقافة الفكرية عند قوى " الحشد الشعبي" وذلك لسحب ذلك الفقه المنحرف وفكره المتطرف واسقاطه وكشف الزيف الفكري عند تلك التنظيمات عن طريق الأطروحة الفكرية التي تبنتها المرجعية الدينية في هذا المجال، وابراز المفاهيم الفكرية والعقائدية التي سعت الى تحديدها تحت عنوان " الهوية الوطنية" واستهداف تحقيق متطلبات الوعي الوطني^(٢٧). لأن من أبرز السمات الأصلية لحركة الجهاد وفتاواه المباركة هو تداخلها العضوي بالهوية الإسلامية^(٢٨). وتبني خطاباً فكرياً اصلاحياً يتبنى الوحدة الوطنية مفهوماً بدلاً من الحزبية والمذهبية^(٢٩). لاسيما بعدما انتقلت المنظومة النفسية للفرد العراقي بعد عام ٢٠٠٣ من معاشة طويلة للذل المغموس بالاستبداد الى معاشة غرائبية للذل الملقح بـ " الحرية" و " الديمقراطية"^(٣٠).

وفي الواقع، فإن أول مرتكزات فلسفة البناء الفكري عند المرجعية الدينية هو التوجه نحو " السلم المجتمعي" الذي يستهدف اعادة المختلفين الى القيم الانسانية عن طريق تحريك الفكر الناقد الذي يناهض التخلف والتطرف^(٣١). لاسيما وأن " السلم المجتمعي" يمتلك منهجية أقوى وأعمق حتى من " التسامح"، لأنها مبنية على فلسفة فكرية تراهن

على إعادة الانسان الى جوهره وجذوره الانسانية المتأصلة في طبيعته، وإدارة الخلافات في ظل القيم الانسانية بهدف التكامل الفكري والمعرفي عن طريق الحوار الذي يؤسس الى اختفاء نزعة العنف^(٣٢).

من جانب آخر، فإن طبيعة الحركة الفكرية وتوجهاتها الوطنية والعقائدية التي تبنتها المرجعية الدينية في هذا المجال هو تحريك "الملف الاحيائي" كأحد أهم الملفات المتداخلة في موضوعات الجهاد^(٣٣) وهو عملية تحريك هذه الفريضة التي تذهب الى تقديم تفسير حركي اجتماعي للنصوص الدينية، وتحريك هذه النصوص في الواقع الاجتماعي لأحياء مفاهيم إسلامية كثيرة من شأنها أن تغذي العقل المجتمعي بميراث معتدل بتعبير أدق، عملية تنشيط لأبجديات الحركة الإسلامية الفكرية والابتعاد عن المنهج التجريدي النظري واستبداله بمنهج يربط نصوص الجهاد ودراساتها بنفس "العملية الأحيائية"^(٣٤). ونتيجة لذلك، سعى فكر المرجعية الى إخراج ذلك التراث والعمل على توظيفه وعصرنته بما يتسم بالمواكبة، وتحريك الجهاز المفاهيمي المتمثل بفلسفة البناء الفكري وترسيخه عند ابناء "الحشد الشعبي" كجزئية مهمة وفاعلة من جزئيات المواجهة مع التنظيمات الإرهابية^(٣٥).

ومما لاشك فيه، فإن ذلك التحرك المرجعي الثابت هو أحد مضامين الاصلاح والتجديد والذي يتطلب الخروج من ذهنية الى ذهنية فعالة منتجة تعي معامل التغير والتطور الحيائي بعمق... التمييز بين "الثابت والمتغير"، "التمرد على العقلية الأستصحابية"، "الاندفاع نحو تفعيل العقل من أجل تنوير النص الشرعي". ثم تجسيد العلاقة بينه وبين الواقع، على حد تقدير أغلب الأدبيات الفلسفية المعاصرة^(٣٦).

وللاقترب من أبعاد فلسفة البناء الفكري عند المرجعية الدينية التي كانت إحدى جزئياتها هي الفتوى المباركة، نجد أنها جاءت بقراءة فلسفية عميقة النصوص تحمل الأسس المنطقية لحفظ العراق لأنها سلطت الضوء على الخطر الأكبر الذي يواجه الشعب العراقي، والبعد الاستراتيجي لتلك التنظيمات الإرهابية لذلك أناطت

المسؤولية بالجميع بدءاً من الشعب مروراً بالحكومة ضمن نصوص شرعية وطنية أخلاقية عقائدية نفسية تُعبر عن صور التلاحم وتوحيد الصفوف^(٣٧). وأن أول ما أكدت عليه في هذا الخصوص هو إنَّ للجهاد حدوداً وأدباً أوجبها الحكمة واقتضتها الفطرة وأن من واجب المجاهد أن يتفقه بها ويراعيها ومن رعاها طبقاً للمنهج الإسلامي أوجب له ما قدره من فضله، ومن أضل بها أحبط من أجره ولم يبلغ به أمله^(٣٨).

من جهة أخرى، فأن من ادبيات الاسلام ومفاهيم الجهاد عند الاسلام هو عدم إقامة أو تقوية السلطة بسفك الدماء الحرام، لأن ذلك يضعف الملك ويوهنه بل يزيله، ولاعذر يومئذ عند الله عزوجل. لذلك فإن التربية الخالصة التي استهدفتها المرجعية لأبناء "الحشد الشعبي" التي أصبحت قوة وطنية عقائدية مهمة إنما استهدفت الفكر البناء الفعال في اقامة الانتصار على أسس الايمان والتقوى فرفضت استحلال التعرض الى النفوس بغير ما احله الله تعالى. لأنه ما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة وما أعظم الحسنة بوقايتها وإحيائها^(٣٩).

وحتى تستطيع الأطروحة الفكرية للمرجعية الدينية أن ترفع من مستوى قوى "الحشد الشعبي" عقائدياً كان لابد لها من أن تعمل على مد العقل والجسم بكل ما يمكن قبوله وبالتالي رفعه الى المستوى المطلوب، لذلك أكدت على سبيل المثال "إن يحث الأب أبنه والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن البلد وحرماته بتعبير أدق". عملية توفير المناخ الروحي الملائم لدى المقاتلين، واعطائهم الصفة المقدسة الدافعة نحو الصمود وهي الثبات على العقيدة لأنها من أعلى مراحل السمو النفسي^(٤٠).

وحتى تستكمل الصورة العقائدية أبعادها لدى أبناء الحشد أكدت المرجعية على إنَّ من يقتل فهو يكون شهيداً الأمر الذي يشير وبوضوح الى إنَّ أبناء ذلك الكيان هم قرابين الإنسانية التي بدمائهم تستمر الحياة. مما عزز بداخلهم الشعور الإنساني والوطني والأخلاقي^(٤١).

ومن الجدير بالذكر، فإن مواجهة الذهنية السطحية التي مثلتها التنظيمات الإرهابية لا يمكن أن تكون بمعزل عن مناخات الفقه الإسلامي وعقيدته الرفيعة، ولا يمكن التصور على إنها دون مستوى الثورة، بل هي الثورة بعينها في عالم الفكر والدليل هو حجم التضحيات التي يقدمها رواد الأحياء والتجديد الفكري. إنها ثورة تنصب في مراحلها على مواجهة سطحية العقل البشري ومغالطاته على حد تقدير ابرز منظري الفلسفة الاسلامية المعاصرة^(٤٢).

وعوداً على بدء فإن المرجعية الدينية كانت قد استهدفت تحديد الضمانات الأخلاقية في مسيرة " الحشد الشعبي " وأدائه الوطني لاسيما بعد المراهنة الكبيرة من قبل العديد من القوى السياسية والاجتماعية على نشوب حرباً طائفية خصوصاً في المناطق التي سيطرت عليها التنظيمات الإرهابية^(٤٣). لذلك أكدت على تنظيم العلاقة بين أبناء الحشد الشعبي وبين سكان المناطق التي يتم تحريرها، والتعامل معهم بالأخلاق الإسلامية وهي إحدى أهم أدوات السلم المجتمعي الذي يؤسس بدوره الى قيام الاندماج الاجتماعي^(٤٤).

ثمة حقيقة تاريخية تشير الى أن الفرد العراقي يحتاج الى الهوية الوطنية أكثر مما يحتاج الى الهويات الفرعية. وأن المحاولات المتتابة لقسره على تغيير هذه المعادلة النفسية الموضوعة قد تنجح مؤقتاً في جرفه الى نقطة التردد والصراع بين مفهومي الوطن والطائفة، إلا أن الجذر المتحضر للشخصية العراقية ونظرتها الواقعية وتدينها الهادئ يجعل على الدوام من هويتها الوطنية مفهوماً قابلاً للمناورة الدفاعية، والتكيف البارع، واعادة التشكل ولو بتمظهرات جديدة تحفظ لها سيكولوجيتها الراسخة^(٤٥). وهو ما راهنت عليه المرجعية الدينية، وبذلت جهوداً واضحة في العمل على احياء مفهوم الاندماج الاجتماعي^(٤٦). الذي هو عملية انصهار الجماعات اجتماعياً وثقافياً بحيث تتوحد الهوية الخاصة والعامة في هوية مشتركة جامعة يتحقق خلالها مستويين من الاندماج. الاندماج الأفقي الذي يعني صهر العناصر الاجتماعية والدينية والأثنية والجغرافية المختلفة ضمن

الدولة- الأمة- والاندماج العمودي الذي يذهب الى إقامة روابط وثيقة بين الحكام والمحكومين في إطار عملية وطنية أكبر والمشاركة في النظام السياسي^(٤٧).

من جهة أخرى، فإن هذه المستويات من الاندماج تتمحور بداخلها ثلاثة أبعاد إذا ما سقطت على المجتمع فأنها ستحقق التعايش السلمي وبناء السلام. وهي البعد السياسي الذي يعني تضيق الفجوة ما بين النخبة والجماهير، بين الريف والمدينة، بين الذين يملكون والذين لا يملكون وهو الذي يتناقض مع الاقصاء والاستبعاد والتهميش، والبعد القيمي الذي يتطلب وجود مدارات بين الرضا والاتفاق بين الجماعات المختلفة في الدولة الواحدة حول القيم والغايات العليا للمجتمع وآليات لتسوية الاختلافات والنزاعات، أما البعد الوطني فهو الذي يرمي الى صهر الجماعات المختلفة عرقياً ودينياً ولغوياً ويحدد بوضوح الهوية الوطنية ودعم الولاء الوطني بما يعنيه من الانتقال من نطاق الولاءات الضيقة الى نطاق الولاء الوطني^(٤٨). وهو ما حرصت عليه المرجعية الدينية وأكدت على أن يتوحد العراقيين تحت قضية مصيرية هي البلد واستقراره وأمنه السياسي والاجتماعية. وطالبت بأن تتوحد جميع الاطراف المشاركة في الحرب ضد التنظيمات الارهابية تحت راية العراق حفاظاً على إثارة المخاوف عند الاقليات مثلاً^(٤٩).

ومما لاشك فيه، فإن هذا الطرح الفكري الذي أستهدف إقامة السلم المجتمعي كان كفيلاً بتحقيق مستوى أكبر من الاستقرار وهو التعايش السلمي الذي يمثل عملية التقاء ارادة أهل الأديان والحضارات في العمل من أجل أن يسود السلام^(٥٠). وهي عملية مركبة تركز على مقومات متعددة ترتقي بذلك المفهوم الى النجاح ، ومنها الارادة الحرة المشتركة التي تذهب الى أن الرغبة في العيش لابد أن تكون نابعة من الذات وغير مفروضة تحت الضغط على مختلف مصادره^(٥١).

وهي الجزئية التي استهدفها المرجعية في خطابها وتوجهاتها وأكدت على أن يكون ابناء " الحشد الشعبي " حماة ناصحين لمن يقبلهم، وذلك حتى يأمنوا ويعينوا الضعفاء لأنهم أخوة وأهلاً لهم، وأن يشفقوا على ذويهم. وهي تربية عالية المقام تتأطر في إطار الأخوة والثوبة والجزاء عند الله تعالى^(٥٢)، كذلك التفاهم حول الأهداف والغايات حتى لا

يكون التعايش السلمي فيها خالياً من أي مدلول عملي، ويكون القصد من التعايش هو خدمة الإنسانية وتحقيق المصالح العليا وفي مقدمتها استتاب الأمن وبناء السلام ومحاربة العنصرية والطائفية والحيلولة دون قيام المنازعات^(٥٣).

ومن هنا تكمن أهمية ما أخذت تقدمه المرجعية الدينية وتبنيها فلسفة فكرية بناءة لقوى الحشد الشعبي خاصة ولكل العراق عامة من خلال ما أخذت تفتحه أمام الفكر الانساني من تلقيات تجيد فيها نقاط الاشتراك مع الأطراف الأخرى كبشر، وتفكر بالإنسان كإنسان، وكذلك عندما تطرح خطابها كخطاب متحضر يُعرف المجتمع كيف يلتقي مع الآخر^(٥٤).

وحتى لا ينحرف التعايش السلمي عند الخط المرسوم له، وحتى لا تغلب مصلحة طرف على حساب الطرف الآخر لابد من صيانة ذلك المفهوم بسياج من الاحترام والاحتكام الى القواسم المشتركة من القيم والمثل والمبادئ، وفي هذا الصدد أكدت المرجعية على ان يدع الجميع العصبيات الذميمة ويتمسكوا بمكارم الاخلاق لأن الله عزوجل جعل الناس اقواماً وشعوباً ليتعارفوا ويتبادلوا المنافع ويكون بعضهم عوناً للبعض الآخر، والعمل على أن لا تتغلب الأفكار الضيقة والانانية الشخصية. مبرهنة على ذلك في ما حل بالمسلمين حتى أصبحت طاقاتهم وقواهم واموالهم وثرواتهم تهدر في ضرب بعضهم للبعض^(٥٥).

وبناءً على ذلك، فإن مفهوم التعايش السلمي هو على العكس من مفهوم الاغتراب الذي يعني الحالة السيكلوجية التي تسيطر على الفرد سيطرة تامة وتجعله غريباً عن مناحي واقعة الاجتماعي^(٥٦). بتعبير أدق فإن المرجعية الدينية أرادت إقامة علاقة تفاعلية متبادلة بين الأفراد المختلفين عقائدياً وعرقياً وفكرياً في مجتمع واحد، وأن تقوم هذه العلاقة على قاعدة السلم والتفاهم والتعاون البناء^(٥٧).

وفي الحقيقة، فإن المرجعية الدينية تمتلك ترجمة عميقة التحليل في الفكر الفقهي السياسي والنظرة التجديدية التي يتميز بها الدور المرجعي علماً وتجربة وتضحية بعيداً عن التزمّت وقولة الحياة وفقاً لتخريجات محدودة، إذ إن المرجعية بكيانها على صعيد المنطقة والعالم

لا يمكن أن يختزل دورها سياسياً بالمحاصصة بل هي ضمير يحرك الفعل حيث يلتجأ إليها المجتمع من كل مكان. وبذلك فهي تفهم كيف تبنى الدولة وما هو الشكل الذي يؤمن لها أن تكون ممثلة لأمتها شعبها ومجتمعها^(٥٨).

وحتى توظّر الاطروحة الفكرية عند المرجعية أبعادها التي تسعى الى قلب الأمور رأساً على عقب وتعيد صياغات فكرية تعاكس الفكر الارهابي القابع تحت التطرف فقد خاطبت قوى "الحشد الشعبي" بأن أكثر من يقاتلهم إنما وقع في الشبهة بتضليل الآخرين مؤكداً على ابناء "الحشد الشعبي" عدم إعانة أولئك المضلين بما يوجب قوة الشبهة في أذهان الناس فينقلبوا أنصاراً لهم، بل لابد من التوجه الى درء الشبهات عن طريق حسن التصرف والنصيحة والأخذ بالعدل وتجنب الظلم والإساءة والعدوان. فأن من درأ شبهة عن ذهن إنسان فقد الحياة. ومن أوقع أنسان في شبهة من غير عذر فكأنه قتلة. بتعبير أدق . إن المرجعية الدينية وإن خاطبت قوى "الحشد الشعبي" فهي خاطبت بنفس الوقت الفكر الإنساني وابناء المجتمع الواحد لاسيما المغرر بهم والعالم والرأي العالم^(٥٩).

وحتى تحافظ الاطروحة الفكرية وفلسفتها البناء عند المرجعية الدينية على مداها الفقهي فقد أشارت الى قضية مهمة وهي تأكيداً على عدم اتهام الناس في دينهم نكايه بهم واستباحة حرماهم كما وقع فيه الخوارج في العصر الاول. ومن ثم وقع فيه قوم بهذا العصر من غير أهل الفقه في الدين فأثروا بمزاجياتهم وأهوائهم وبرروه ببعض النصوص التي تشابهت عليهم فعظم ابتلاء المسلمين بهم. كذلك صيانة دم ومال من شهد الشهادتين وأن وقع في الضلالة وارتكب بعض البدعة فما كل ضلالة بالتي توجب الكفر، ولا كل بدعة تؤدي الى نفي صفة الاسلام عن صاحبها^(٦٠).

بالاتجاه المقابل، أكدت المرجعية على عدم التعرض الى غير المسلمين أيا كان دينه ومذهبه لأنهم في كنف المسلمين وأمانهم. ومن يتعرض لحرماهم كان خائناً غادراً ، وأن الخيانة والغدر هي من اقبح الأفعال في قضاء الفطرة ودين الله عزوجل^(٦١).

مما سبق يبدو واضحاً، أن هذا الفكر التنموي الذي اضطلعت به المرجعية الدينية جاء متوافقاً مع التصورات الحركية للفكر الاسلامي^(٦٢) الذي يؤمن بأن الاسلام لا يمكن أن يجس في قمم التحجر والجمود. بل لابد من تفعيل دور العقيدة الاسلامية في مشاريع النهضة الحضارية الشاملة في العالم الاسلامي من خلال نظام معرفي يمكن أن تصاغ في ضوئه اطروحات الفكر الاسلامي المعاصر السياسية والثقافية والفكرية كافة^(٦٣).

وعلى ذلك الأساس، كانت الفتوى المباركة التي خرجت من ثنايا الفكر المعتدل عند المرجعية قد جاءت بأبعاد مهمة هي البعد الاسلامي الذي يحمل جانب القداسة وحرمت الطيف العراقي المتنوع، والبعد الإنساني الذي يؤكد على التعايش السلمي كأحد أهم مسلمات حقوق الانسان، والبعد الوطني الذي منح الشارع العراقي رُقياً وحارب التقسيم والطائفية، والبعد النفسي الذي أعاد توازن البلاد واستقرار الحالة السايكولوجية المجتمعية^(٦٤).

وفي الواقع، فإن الفتوى المباركة لم تكن وطنية في دوافعها ومضامينها فقط، بل في نتائجها من خلال الواقع الملموس الذي تمثل في تطهير مساحات واسعة من الارض لاسيما في مناطق الأقليات. وهو دليل آخر على الأبعاد الوطنية التي انطوت عليها الفتوى، كما استمرت تتفقد النازحين والوقوف على احتياجاتهم عن طريق عن طريق قوى "الحشد الشعبي" وكذلك الوفود الخاصة من مكاتب المرجعية الدينية والتي حركت بدورها أغلب مؤسسات الدولة والمجتمع المدني في تفقد المناطق المحررة فاصبح ذلك التحرك عبارة عن ثقافة مجتمعية مشتركة^(٦٥).

وحتى تفكك المرجعية الدينية أحزمة القوى المراهنة على دمار العراق. فقد رفضت قرار الكونغرس الامريكي الداعي الى تقسيم العراق. لذلك كان الفكر المبارك هو العلاج الناجح لقضية اجتمع حولها الكثير من ابناء المكونات الأخرى. الأمر الذي ولد شعوراً وتقارباً اجتماعياً بين مكونات الشعب واقلياته الدينية التي طالما انتابها المخاوف من ذوبانها بالهويات الأخرى^(٦٦).

وعلى ذلك الأساس، جاءت الإشارات المتتابعة من أغلب دول العالم، وهي تشييد بدور المرجعية الدينية، فقد أكد امير الطائفة الايزيدية في العالم "أن موقف المرجعية قمة الانسانية، ولم نكن نتصور ذلك التعاطي الذي مثل اسمى وانبل القيم الإنسانية بالتعامل مع قضيتنا كأقلية دينية، وقد جازف اتباع المرجعية بحياتهم من أجل شرفنا، الامر الذي اشعرنا بأن ليس بين دينا وبين الدين الاسلامي فرقاً في التعايش^(٦٧).

أما بالنسبة الى المسيحيين ، فقد قاموا الى زيارات العتبات المقدسة في كربلاء والنجف وأكدت على " أن المرجعية الدينية هي منهج السلام بكل جدارة ، وأنها دفعت الظلم عن مكونات الشعب العراقي، وأن ابناء الديانات المسيحية يدعون بصلاتهم الى المرجعية بالدوام"^(٦٨).

من جانب آخر أشار رئيس الوزراء الايطالي " أن الغرب استطاع أن يتعرف على الاسلام الحقيقي من خلال مواقف المرجعية التي حفظت الارض والعرض لجميع العراقيين^(٦٩).

كما أشاد السفير الصيني بدور المرجعية في انقاذ البلاد^(٧٠)، فضلاً عن زيارة السفير الروسي للعبة الحسينية المقدسة وأشاد بدور المرجعية في حفظ العراق واهله^(٧١). كذلك العديد من الصحف العالمية التي أشارت الى أن المرجعية جسدت الرغبة في ابقاء العراق موحداً^(٧٢).

وفي الحقيقة، فإن الفتوى المباركة كانت عبارة عن مُخرج من مخرجات فكر المرجعية الدينية وفلسفتها البناءة والتي اتجهت من خلالها الى عملية البناء الفكري عند قوى الحشد الشعبي الذي مثل احد أهم الأذرع الحركية للمرجعية ، وتنميته تنمية وطنية مسلحة بالعقيدة الإسلامية ومركزاتها الفكرية لقيادة المواجهة مع التنظيمات الأرهابية^(٧٣).

بالمقابل، فإن نجاح أو فشل اية تجربة تنموية يعتمد على ماتحققه تلك التجربة في عمليات بناء الانسان معنوياً ومادياً ، والذي تبدأ عمليات التنمية منه ومن أجله، وأن نجاحها يتوقف على مدى تفاعله معها، وأن هذا التفاعل بدوره ينعكس بالضرورة على الطبيعة

الشمولية لعمليات التنمية. أما أهم ميادين هذا التفاعل فهو بيان حجم أو مستوى العلاقة بين الدين والحياة وانعكاسها المستقبلية على نجاح أو فشل عمليات التنمية^(٧٤). بالاتجاه ذاته، فإن التنمية بوصفها تمثل مشروعاً لإقامة مجتمع أفضل لأبد من أن تُدرس في ضوء القيم الحضارية التي يؤمن بها المجتمع. وما يضيف على هذه العملية أهمية أكبر هو ارتباطها بشكل مباشر بمصير الإنسان ومستقبله مما يؤدي الى ظهور مفاهيم تضيف طابع الانسانية تارة والبشرية تارة أخرى على عملية التنمية^(٧٥).

وعلى ذلك الأساس، كانت المرجعية الدينية قد عملت على تنمية ابناء "الحشد الشعبي" في ضوء هذه الطروحات ورفع المستوى الفكري لهم، وبذلك أتقنت المرجعية الدينية فقه المنطق وعملت على بث الجرأة في استخدام العقل واستيعاب الآخر، فقد ارتقت المرجعية بمفهوم جديد للعلاقة فيما بين الدين ومتطلبات الواقع. وهي علاقة أخذت تلين من خلال الفكر المعتدل أمام المجتمع وتكون أساساً لانطلاقه سلمية مجتمعية فاعلة^(٧٦). الخاتمة:

على الرغم من إنَّ البيئة التي عاشت فيها المرجعية الدينية وقدمت من واقعها العطاء الفكري إلا أن هذه البيئة لم تتمكن من استيعاب واحتواء ذلك الفكر الذي لم يَحْتَق في إطارها، ولم تتمكن من أن تقبله لا جغرافياً ولا مذهبياً. والسبب هو أن الطرح الفكري وخطابه الرفيع الذي قدمته المرجعية الدينية لم يَحْتَق عند حدود البرهة الزمنية التي عاشت فيها. بل كان ذلك الفكر واعياً ويستشرف آفاق بعيد الامد .

ونتيجة لذلك، تكمن أهمية ما قدمته المرجعية من خلال ما أخذت تفتحه أمام الفكر الانساني من تلقيات تجيد فيها نقاط الالتقاء بين مكونات المجتمع العراقي والعالم الاسلامي والانساني.

وفي الواقع، فقد سجلت الفتوى المباركة التي اصدرتها المرجعية الدينية عام ٢٠١٤ والتي اسست الحشد الشعبي وتصدت الى التنظيمات الارهابية نجاحاً في ابراز المفاهيم الفكرية والعقائدية والوطنية لاسيما بعدما تبنت المرجعية الاطروحة الفكرية الخاصة بفلسفة البناء الفكري وأثرها على قوى الحشد الشعبي والتي استهدفت تحقيق متطلبات الوعي

الاسلامي وتداخله العضوي داخل الهوية الاسلامية والوطنية. فكان تحركها من اجل مشروع اكبر تتصاغر تحته الفئوية والمذهبية والطبقية.

من جانب آخر، ارادت المرجعية من ان توضح أن المحاولات الارهابية التي سعت الى تشويه الاسلام وافراغ الأمة من محتواها الوطني والعقائدي هي محاولات خارجة عن السياق والنظام الاسلامي. لذلك ارادت أن تصحح مفهوم الذل الذي تحول في اذهان الكثير من الناس الى مفهوم قلق ومضطرب عن طريق الممارسات الارهابية.

وأمام ذلك الواقع، نجد أن تحرك المرجعية كان قد أسقط المحاولات الارهابية المتطرفة بفعل مؤثراتها النضالية والثورية، وحررت ارادة الامة وفعلت رقابتها على السلطة فكان ذلك التحرك عبارة عن خطاباً جهادياً لم يفقد روحيته في وجوب الخروج عن الفكر التكفيري المتطرف والتصدي له بفلسفة فكرية بناءة ومنهجية عالية في وعي المتطلعين الى الاصلاح والتغيير. فمثلت بذلك منظومة واقعية مؤثرة على الصعيد النضالي. فتحوّلت منطلقاتها الفكرية وفلسفتها البناءة الى خطاباً وفكر ورسالة وفريضة لدى الاجيال في وجوب التصدي للانحراف والظلم مشكلة في ذلك منهجاً أصبح مثلاً أعلى في وعي المتطلعين الى التغيير.

الهوامش :

(١) عبد الحسين شعبان ، صراع أم جدل الهويات في العراق، - "المستقبل"، (مجلة) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، العدد ٣٦٩، ٢٠٠٩، ص ١٤١.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: الامم المتحدة، مجلس الأمن الدولي، قرار مجلس الأمن الدولي المرقم (١٤٨١) لعام ٢٠٠٣ المتخذ في جلسة مجلس الامن (٤٧٦١) في ٢٢ أيار ٢٠٠٣؛ محمد العرب، مالم يذكر بريمر في كتابه، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢٠.

(٣) سعد عيسى دهيم، إدارة التنوع واشكاليات بناء الهوية الوطنية دراسة مقارنة حالة(العراق سلينان- جنوب افريقيا) رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الامام الكاظم(ع) للعلوم الانسانية، ديوان الوقف الشيعي، بغداد، ٢٠١٨، ص ١٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(٥) مختار لاماني، الاقليات في العراق الضحية، - "المستقبل"، (مجلة)، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، العدد ٣٦٩، السنة ٣٢، ٢٠٠٩، ص ١٧٠.

- (٦) حامد الخفاف، النصوص الصادرة من سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢١ و ٤١.
- (٧) نجوى صالح الجواد، المرجعية الدينية والعراق الجديد جدلية الدين والسياسة، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٢٥٧.
- (٨) حامد الخفاف، المصدر السابق، ص ٩٦.
- (٩) سعد عيسى دهيم، المصدر السابق، ص ١٤٤.
- (١٠) مختار لاماني، المصدر السابق، ص ١٦٠.
- (١١) ابراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والارهاب، دار الساقى، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٧٣.
- (١٢) صباح مهدي رميض، فتوى المرجعية من تحريم التنبك الى الجهاد الكفائي مقاربات تاريخية وتحليل النتائج والمعطيات، "وقائع المؤتمر العلمي للدولي الاول للحشد الشعبي المنعقد في ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥ تحت عنوان "الجهاد الكفائي ضمانه لمستقبل ووحدة العراق"، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط ١، ص ٢٠١٧، ص ١٥٠.
- (١٣) ابراهيم الحيدري، المصدر السابق، ص ١٧٧.
- (١٤) مجموعة باحثين، الحشد الشعبي في العراق، تاريخ و جهاد سقوط الموصل فتوى الجهاد الكفائي، عدد ١، مؤسسة همم، العراق، ٢٠١٧، ص ٦٥.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٧٦-٨٤.
- (١٦) صباح مهدي رميض، المصدر السابق، ص ١٥١.
- (١٧) سعد سلوم، الايزيديون في العراق من الأزمات الى الكارثة، " نشرة الرأي الاخر"، وحدة البحوث والدراسات، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٤، ص ٢٣؛ مختار لاماني، المصدر السابق، ص ١٦٠.
- (١٨) سعد سلوم، المصدر السابق، ص ١٦٨-١٧١؛ مختار لاماني، المصدر السابق، ص ١٦٢.
- (١٩) اكرم طالب الوشاح، دور الاقليات في العملية السياسية العراقية بعد ٢٠٠٣، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨، ص ١٥٠.
- (٢٠) صالح الظالمي، المرجعية والمواقف الصريحة للسيد السيستاني أنموذجا، " آفاق نجفية"، (مجلة)، النجف الاشرف، العدد ٢، ٢٠٠٦، ص ٧٥-٧٨.
- (٢١) صباح مهدي رميض، المصدر السابق، ص ١٥٢-١٥٣.
- (٢٢) مجموعة باحثين، الحشد الشعبي في العراق، المصدر السابق، ص.
- (٢٣) فارس كمال نظمي، مقالات ودراسات في الشخصية العراقية، ط ٢، بيروت، ٢٠١٠، ص ٩.
- (٢٤) المصدر نفسه، ص ٩.
- (٢٥) مجموعة باحثين، الحشد الشعبي في العراق، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٢٦) أياد محمد علي الارناؤطي، فتوى الامام السيستاني بالجهاد الكفائي الظروف والمعطيات، - وقائع المؤتمر العلمي الدولي للحشد الشعبي بتاريخ ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥ تحت عنوان " الجهاد الكفائي ضمانا لمستقبل ووحدة العراق"، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط١، ٢٠١٧، ص ٤٠١-٤٠٣.

(٢٧) طارق صاحب الغانمي، الأبعاد الاستراتيجية في فتوى الدفاع المقدس، -" الفتوى"، (مجلة)، العتبة العباسية المقدسة، السنة الثانية، ١٤٣٨هـ، ١٤٦-١٤٧.

(٢٨) مرتضى مطهري، الملمحة الحسينية، ط ٣، قم، ١٤٣٠، ص ٢٢٠.

(٢٩) صالح الظالمي، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٣٠) فارس كمال نظمي، المصدر السابق، ص ٨٤.

(٣١) كامل جاسم دهش وثامر مكي علي، من الشيخ الشيرازي الى السيد السيستاني فتاوى حفظت وحد العراق، وقائع المؤتمر العلمي الدولي للحشد الشعبي المنعقد تحت عنوان " الجهاد الكفائي ضمانا لمستقبل ووحدة العراق"، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء للفترة من ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥، العراق، ط١، ٢٠١٧، ص ٤٤.

(٣٢) خلف صالح علي الجبوري ومعتز اسماعيل خلف الصبيحي، واقع ومستقبل التعايش السلمي وبناء السلام في عراق ما بعد المنازعات، بيروت، ٢٠٢١، ص ١٥-١٦.

(٣٣) صالح الظالمي، المصدر السابق، ص ٦١.

(٣٤) حيدر قاسم التميمي، الجهاد الاسلامي في الدراسات الاستشراقية دراسة تحليلية نقدية، - وقائع المؤتمر العلمي الدولي للحشد الشعبي بتاريخ ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥ تحت عنوان " الجهاد الكفائي ضمانا لمستقبل ووحدة العراق"، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط١، ٢٠١٧، ص ٦٩-٧١.

(٣٥) طارق صاحب الغانمي، المصدر السابق، ص ١٥٠-١٥١.

(٣٦) صائب عبد الحميد، محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والعقائدي، دار الكتاب العربي، قم، (د.ت)، ص ٢٦.

(٣٧) صباح مهدي رميض، المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٣٨) نصائح وتوجيهات المرجع الاعلى السيد السيستاني للمقاتلين في ساحات الجهاد ٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ.

(٣٩) علياء محمد حسين الزبيدي ورجاء زامل الموسوي، فتوى المرجعية الدينية وأثرها على مسار الحركة الوطنية في الراق، وقائع المؤتمر العلمي الدولي للحشد الشعبي بتاريخ ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥ تحت عنوان " الجهاد الكفائي ضمانا لمستقبل ووحدة العراق"، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط١، ٢٠١٧، ص ١٩٠.

(٤٠) نصائح وتوجيهات المرجع الاعلى السيد السيستاني للمقاتلين في ساحات الجهاد ٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ.

(٤١) مجموعة باحثين، الحشد الشعبي في العراق، المصدر السابق، ص ١٠٣.

- (٤٢) صائب عبد الحميد ، المصدر السابق، ص ٢٦.
- (٤٣) مجموعة باحثين، الحشد الشعبي في العراق، المصدر السابق، ص.
- (٤٤) علياء محمد حسين الزبيدي ورجاء زامل الموسوي، المصدر السابق، ص ١٩٦.
- (٤٥) فارس كمال نظمي، المصدر السابق، ص ١٠٤.
- (٤٦) حامد الخفاف، المصدر السابق، ص ١٥٥.
- (٤٧) خلف صالح علي الجبوري ومعتز اسماعيل خلف الصبيحي، المصدر السابق، ص ٣٤-٣٥.
- (٤٨) المصدر نفسه، ص ٣٦.
- (٤٩) حسين محمد علي الفضلي، الامام الشيباني، ط ١، مؤسسة البلاغ وبيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٥٨.
- (٥٠) خللد جعفر المبارك وعبد الكريم جعفر الكشفي، فتاوى المرجعية وأثرها على الأمن السلمي في العراق ، - " صدى الفتوى " ، (مجلة)، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، العراق، السنة الثانية ، ١٤٣٨، ص ١٩١.
- (٥١) خلف صالح علي الجبوري ومعتز اسماعيل خلف الصبيحي، المصدر السابق، ص ٦١.
- (٥٢) مجموعة باحثين، الحشد الشعبي في العراق، المصدر السابق، ص ٣٧.
- (٥٣) خالد جعفر المبارك وعبد الكريم جعفر الكشفي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٥٤) خمائل شاكر الجمالي، الثورة الحسينية وأثرها الفكري والعقائدي في جهاد الحشد الشعبي، وقائع المؤتمر العلمي الدولي للحشد الشعبي بتاريخ ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥ تحت عنوان " الجهاد الكفائي ضمانا لمستقبل ووحدرة العراق"، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء ، العراق، ط ١، ٢٠١٧، ص ٣٢٣.
- (٥٥) علياء محمد حسين الزبيدي ورجاء زامل الموسوي، المصدر السابق، ص ١٩٨.
- (٥٦) خلف صالح علي الجبوري ومعتز اسماعيل خلف الصبيحي، المصدر السابق، ص ١٦.
- (٥٧) صالح الظالمي، المصدر السابق، ص ٨٠-٨١.
- (٥٨) متعب مناف جاسم، محاضرات في النظرية الاجتماعية المعاصرة، ط ١، بيروت، ٢٠١١، ص ٣٠.
- (٥٩) مجموعة باحثين، الحشد الشعبي في العراق، المصدر السابق، ص.
- (٦٠) علياء محمد حسين الزبيدي ورجاء زامل الموسوي، المصدر السابق، ص ١٩١.
- (٦١) المصدر نفسه، ص ١٩٢.
- (٦٢) خمائل شاكر الجمالي، المصدر السابق، ص ٣٢٤.
- (٦٣) المصدر نفسه.
- (٦٤) اياد محمد علي الاروناؤوطي، المصدر السابق، ص ٤٠٦-٤٠٨.
- (٦٥) المصدر نفسه، ص ٤٠٧-٤٠٨.
- (٦٦) " الموقف السياسي"، (نشرة)، شعبة النشر، العتبة الحسينية المقدسة، ديوان الوقف الشيعي، العراق، العدد ٢، ٢٠١٥، ص ٤٤.

- (٦٧) " يد الخير"، (إصدار الوثائق)، العتبة الحسينية المقدسة، ديوان الوقف الشيعي، العراق، ط ١، ٢٠١٧، ص ٢٩.
- (٦٨) " الموقف السياسي"، المصدر السابق، ص ٥٥.
- (٦٩) " يد الخير"، المصدر السابق، ص ٢٩.
- (٧٠) "الموقف السياسي"، (نشرة)، شعبة النشر، العتبة الحسينية المقدسة، ديوان الوقف الشيعي، العراق، العدد ٢٠-٢١، ٢٠١٦، ص ٤٨.
- (٧١) "الموقف السياسي"، (نشرة)، شعبة النشر، العتبة الحسينية المقدسة، ديوان الوقف الشيعي، العراق، العدد ٢٦-٢٧، ٢٠١٧، ص ٤٥.
- (٧٢) "الموقف السياسي"، (نشرة)، شعبة النشر، العتبة الحسينية المقدسة، ديوان الوقف الشيعي، العراق، العدد ١١، ٢٠١٦، ص ٥٢-٥٣.
- (٧٣) حسين محمد علي الفضلي، المصدر السابق، ص ١٦٢؛ صالح الظالمي، المصدر السابق، ص ٧٨.
- (٧٤) عباس فاضل محمود العامري، التنمية في فكر الامام الشهيد محمد باقر الصدر، "المستقبل العراقي"، (مجلة)، مركز العراق للأبحاث، العدد ٥، السنة الثانية، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٢٥١.
- (٧٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٨.
- (٧٦) صالح الظالمي، المصدر السابق، ص ٧٨.

قائمة المصادر:

أولاً: قرارات مجلس الامن الدولي:

- ١-المتحدة، مجلس الأمن الدولي، قرار مجلس الأمن الدولي المرقم (١٤٨١) لعام ٢٠٠٣ المتخذ في جلسة مجلس الامن (٤٧٦١) في ٢٢ أيار ٢٠٠٣.

ثانياً : الكتب:

- ١-ابراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والارهاب، دار الساقى، بيروت، ٢٠١٥.
- ٢-حسين محمد علي الفضلي، الامام الشيباني، ط ١، مؤسسة البلاغ وبيروت، ٢٠٠٨.
- ٣-حامد الحفاف، النصوص الصادرة من سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٧.
- ٤-خلف صالح علي الجبوري ومعتز اسماعيل خلف الصبيحي، واقع ومستقبل التعايش السلمي وبناء السلام في عراق ما بعد المنازعات، بيروت، ٢٠٢١.
- ٥-فارس كمال نظمي، مقالات ودراسات في الشخصية العراقية، ط ٢، بيروت، ٢٠١٠.

٦- صائب عبد الحميد، محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والعقائدي، دار الكتاب العربي، قم، (د.ت).

٧- مرتضى مطهري، الملحة الحسينية، ط ٣، قم، ١٤٣٠هـ.

٨- محمد العرب، مالم يذكر برير في كتابه، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٧.

٩- متعب مناف جاسم، محاضرات في النظرية الاجتماعية المعاصرة، ط ١، بيروت، ٢٠١١.

١٠- مجموعة باحثين، الحشد الشعبي في العراق، تاريخ وجهاد سقوط الموصل فتوى الجهاد الكفائي، عدد ١، مؤسسة همم، العراق، ٢٠١٧.

١١- نجوى صالح الجواد، المرجعية الدينية والعراق الجديد جدلية الدين والسياسة، بغداد، ٢٠٠٥.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

١- اكرم طالب الوشاح، دور الاقليات في العملية السياسية العراقية بعد ٢٠٠٣، رسالة ماجستير

(غير منشورة) كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨.

٢- سعد عيسى دهيم، إدارة التنوع واشكاليات بناء الهوية الوطنية دراسة مقارنة حالة العراق سلينان- جنوب افريقيا) رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الامام الكاظم(ع) للعلوم الانسانية، ديوان الوقف الشيعي، بغداد، ٢٠١٨.

رابعاً: البحوث المنشورة.

١- أياد محمد علي الارناؤطي، فتوى الامام السيستاني بالجهاد الكفائي الظروف والمعطيات، - وقائع المؤتمر العلمي الدولي للحشد الشعبي بتاريخ ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥ تحت عنوان " الجهاد الكفائي ضمانة لمستقبل ووحدة العراق"، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط ١، ٢٠١٧.

٢- خالد جعفر المبارك وعبد الكريم جعفر الكشفي، فتاوى المرجعية وأثرها على الأمن السلمي

العراق، - " صدى الفتوى " ، (مجلة) ، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، العراق، السنة الثانية، ١٤٣٨.

٣- خمائل شاكر الجمالي، الثورة الحسينية وأثرها الفكري والعقائدي في جهاد الحشد الشعبي، وقائع المؤتمر العلمي الدولي للحشد الشعبي بتاريخ ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥ تحت عنوان " الجهاد الكفائي ضمانا لمستقبل ووحدة العراق "، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط١، ٢٠١٧.

٤- سعد سلوم، الايزيديون في العراق من الأزمات الى الكارثة، " نشرة الرأي الاخر "، وحدة البحوث والدراسات، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٤.

٥- صالح الظالمي، المرجعية والمواقف الصريحة للسيد السيستاني أغودجا، - " آفاق نجفية "، (مجلة)، النجف الاشرف، العدد ٢، ٢٠٠٦.

٦- صباح مهدي رميض، فتوى المرجعية من تحريم التباك الى الجهاد الكفائي مقاربات تاريخية وتحليل النتائج والمعطيات، - " وقائع المؤتمر العلمي الدولي الاول للحشد الشعبي المنعقد في ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥ تحت عنوان " الجهاد الكفائي ضمانا لمستقبل ووحدة العراق "، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط١، ص ٢٠١٧.

٧- عبد الحسين شعبان، صراع أم جدل الهويات في العراق، - " المستقبل "، (مجلة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٣٦٩، ٢٠٠٩.

٨- عباس فاضل محمود العامري، التنمية في فكر الامام الشهيد محمد باقر الصدر، " المستقبل العراقي "، (مجلة)، مركز العراق للأبحاث، العدد ٥٥، السنة الثانية، بغداد، ٢٠٠٥.

٩- علياء محمد حسين الزبيدي ورجاء زامل الموسوي، فتوى المرجعية الدينية وأثرها على مسار الحركة الوطنية في العراق، وقائع المؤتمر العلمي الدولي للحشد الشعبي بتاريخ ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥ تحت عنوان " الجهاد الكفائي ضمانا لمستقبل ووحدة العراق "، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق، ط١، ٢٠١٧.

١٠- كامل جاسم دهش وثامر مكي علي، من الشيخ الشيرازي الى السيد السيستاني فتاوى حفظت وحد العراق، وقائع المؤتمر العلمي الدولي للحشد الشعبي المنعقد تحت عنوان " الجهاد الكفائي ضمانة لمستقبل ووحدة العراق"، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء للفترة من ٢٣-٢٤/١٢/٢٠١٥، العراق، ط١، ٢٠١٧.

١١- مختار لاماني، الاقليات في العراق الضحية، -"المستقبل"، (مجلة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٣٦٩، السنة ٣٢، ٢٠٠٩.

خامساً: المجلات العلمية والدوريات والنشرات

١- "الموقف السياسي"، (نشرة)، شعبة النشر، العتبة الحسينية المقدسة، ديوان الوقف الشيعي، العراق، العدد ٢، ٢٠١٥.

٢- الموقف السياسي"، (نشرة)، شعبة النشر، العتبة الحسينية المقدسة، ديوان الوقف الشيعي، العراق، العدد ٢٠-٢١، ٢٠١٦، ص ٤٨.

٣- الموقف السياسي"، (نشرة)، شعبة النشر، العتبة الحسينية المقدسة، ديوان الوقف الشيعي، العراق، العدد ٢٦-، ٢٠١٧.

٤- "يد الخير"، (اصدار الوثائق)، العتبة الحسينية المقدسة، ديوان الوقف الشيعي، العراق، ط١، ٢٠١٧.